

لحن اسمك وأشعار أخرى

(١٩٨٦ - ٢٠١١)

- ١ -

تصميم الغلاف
عبد الله القصير



لحن اسمك وأشعار أخرى

(١٩٨٦ - ٢٠١١)

تأليف: جان دومينيك أمبير

ترجمة فاروق الحميد

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

L'Air de Ton nom et autres poèmes

الكاتب: **Jean- Dominique Humbert**

الناشر: **Cam Poche, 2011**

المترجم: **فاروق الحميد**

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبر
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

الرياح في الشجر

تبدو كأغنيته

كيافيك

ليس لديها سوى كلمة تقولها، ولكنها صمتت

كان لدينا اعتقاد أنها ترقص حول سرِّ ما

فريدريك فاندلير

كيف استطعت الصمود يا حياتي

دون أن تعيشي حيث عشت؟

جان دو لا كروا

الملى

- ʌ -

بطيئة، بعيدة

المتمهلة، البعيدة حين تأتي بطيئة بعيدة

يكون المرجح تحت المطر

هي خطوة النهار الأولى

إن اعتقدنا أنه تولى

مسيرة السماء

في الغيمة الطويلة

الماء، العشب، الأرض التي نأمل

إذا لم يكن وعد شجرة التفاح

يتسلق وردة النوار

إلى الينابيع

عندما تأتي سعيدةً، فرحةً
صوتها الذي تمنحه للريح
يحملُ أغنيةَ النهار

في هواء الينابيع
السماء في يديها
نسمةُ النهار

من يأت إلى الينابيع
يسرُّ في طريقه كما تشاء الريحُ
هناك انبعث صوتٌ صلصالٌ يغني
كانت السماءُ بمتناول اليد

على أبواب النهار

لتسند أبواب النهار

بيدها المضيئة

فلسوف يعانق الطلُّ خطاها

حين تهوى

تركض الشفافية والنضارة بلا ظلّ

في المروج

من سيري الضوء المتناقل

في سماء الأناهار؟

أين هي الحاملة

بنهارات "أيّار"؟

يد نيسان

اليد التي تمسك بك

ليست سوى اليد التي تقودك

لديها الوقت من أجلها هي

لا للطريق

ما تبقى لك من اليوم هو جزء آخر

رائحة زخّة المطر، والعشب المشدّب

حين يعود إلينا شهر نيسان

من يهزُّ أغصان التُّنوب^(١) العالية؟

(١) التُّنوب: جنس شجر من فصيلة الصنوبريات. [المترجم]

الشجرة، على الطريق

على الطريق تعلو الأشجارُ
وكانها تريد المشي في الطريق

يحمل في ذاته الوقتَ
وصمتَ الحقولِ

ما اعتقدناه ضاع

يعود إلينا كسرٌّ:

اللحاء، بشرة النهار

الظلُّ، النظرة

واليد التي نمسك بها

من يسمح للسماء بالمجيء

هي سهمٌ مجنحٌ

ما نحمله في المساءات الصيفية.

شجر في المساء

في المساء يلقي مطرُ الأشجار
بنظراته

سماءٌ بلا غيوم
في الماء الصافي في الصيف
الذي يتعد
يعبرُ الليلُ
من فرجات الغابة
من أين تأتي الغربةُ
حيث تعبر النضارةُ
في أوراق المساء.

الماء والنظرة

الماء في السماء مثل ظلّ يرقص
كلمتها بتمهل
بينما تذهب إلى سريرها الأرض
وهي تحتفظ بالأسرار التي صدفتها في عبورها

يأتي المطر دون كلام
مع الخريف، عابراً
كأغنية أوراق الشجر
من يصغي إليه مساء
سيحظى بنظرته

إلى سماء الغابة

إلى سماء الغابة
تأتي أوراق الشجر الأولى

يومٌ كاملٌ يحترق

الدربُ، فرجةُ الغابةِ
أيةُ أرضٍ ستقولُ لكِ
عن وقتِ القراءةِ؟

عصارة الخريف الذي نرى
يميلُ الدربُ أبيضَ

أين يُضيقُ رائحةً صوتِهِ
في الأشجار؟

الحجر والنهر

كُلُّ ما حدثَ قد ضاعُ

في مسافةِ الطريقِ

هنا يتوقَّفُ صوتُ الماءِ

وصريرُ البابِ الذي ندقُّ

تمنى أيضاً سريرُ النهرِ

حدّاً للماءِ الذي ينتظرُ

حجرةً تتردّدُ مع التيّارِ

أين تتوقفُ الريحُ،

في مأواك، في الليلِ

المرج في الشتاء

ينام الشجر وحيداً

مع الزمن

مع المرج. في الشتاء

أين يسكن صمت

الأيام

في ثوب الصوف؟

هي تعطي أسطورتها للمساء

أين يذهب الشتاء

حين تطبق أياديه البيضاء

على سرّ الرياح

يأتي الشتاء على النوافذ

مع صوت النهار

أين تذهب الآحادُ

الحركاتُ المتمهَّلةُ

لشجرةٍ بلا أوراق

إنَّه "كانون" في أصابعها

يعودُ القُرْقُبُ^(١)

في أروقةِ الريحِ

يدسُّ أغنيةً في يد الشتاء

كما فعلَ الليلُ في السماء المفتوحة

(١) القُرْقُبُ: جنس طير من الحوائم. [الترجم]

أكثر خفةً من أوراق الخريف
عندما تتقدّم
حيث يمحي اسمها
كأنّه صمتٌ "المتنوّب"
صمتُ المروجِ في يومِها الأبيض
في المدى، الكلماتُ المبهورةُ
تأنّ وتروح
هناك عشبةٌ تخرقُ
تمتمّةَ الزمن

المنظية^٤

نحن نحبُّ الوحدة
ولحظات الصمت المطبق
ولكننا نحبُّ أيضاً العشاق في عناقهم
والأطفال الذين يلعبون.

"كينيث وايت"

تستدير نحو الماء
كما نفعل نحن كيما نُحبّ

ما الذي تنتظره من النهارِ
إذا لم يكن انعكاسَ ظلالِ
تميل على الأرض؟

أبحثُ عن فرجةِ الغابةِ عن اسمِ عبورها
الذي يرجعُ إليّ،
قالت هي.

فرجةُ الغابة تلك التي تشبثُ الريحُ بها
والتي يعبرُها النهارُ
هناك جزيرةٌ وحيدةٌ حيث يهربُ الوقتُ

أسكنُ ساحةَ الغيابِ
ليس لديّ سوى العودة إلى الساحلِ الرمليِّ
بالقرب من الصخرة
والبحر، ببطء أمواجه
للراحة الواحدة

نشهدُ بصعوبةٍ حضورَ الماء
الذي يبدهُ ضبابُ البحّارة:
أين تتأخّرُ الريحُ التي ترافقها "المنفية"

تمشي بعيدةً عبر الطريق التي يجبُّها النهارُ وتخبُّى صوتَ
الصباح

خفقةُ جناحِ الطائرِ، ورقصةُ الرواجعِ
تقايسُ خطايِ المهجورة:

عبر الأشجار التي نتصفَّحها. الجَّوالةُ
الريحُ التي تطلق العنان لعبوري

فمع وجهها
يندسُّ النهار في الأمواج
في حرثِ الرياح

الذي يستولي عليك

هو الذي يحميك

يمحو أوجه الرمل

من أجل صمت يأتي من الحجارة

و، بطريقة ما،

العابرات

إلى "س"

من قبل "ج"

قد يكون من الصعب

ترك الكرسيّ

وصفوف الخشب

دروب الخريف

وخطوة الوريقات

عند الصباح

لا ندخل دوماً

في صفاء "أيار"

هناك كلُّ ما ينوءُ بثقله
والذي لا يُنسى

السَّماءُ في بعضِ الأيامِ
بمتناولِ يدِ الشجرةِ

السَّماءُ الصافيةُ
للعابرةِ الصافيةِ

تعالِ لأجلِ الذي
يعرفُ كيفُ ينتظرُ

وسنذهب بسرعة إلى التقاطع

عبر الممرات

إلى البوابة الأولى

أغنية المروج

وفصولها

كالشجرة ذات الأوراق

هو لا يعرف البقية

بل ينتظرها

أينتظرها؟

الغيوم لا تنتظرُ الأمطارَ

ولا الوردَةُ تنتظرُ الثمرةَ

لديهم أماكنهم

في الوقت

هو الأحدُ الذي يجري

في أصابعِ الشتاءِ

وصبرِ الريحِ

فیرنیکور

ما الذي نفعُهُ في العالم
إن لم نحاول بناء مأوى فيه!

"جان رودو"

كان بيتاً من كلام
كنا نعرفُ اسمَهُ
الكرمة، الحائط، المنور

كان هناك البئرُ
هذا الذراعُ الحجريُّ
كانتظارِ الشتاءِ

إنها العاشرةُ في "فيرنيكور"

شهرُ "تشرين"
عابراً شجرَ السنديانِ

وصوت الممرِّ

يومٌ وآخر
وأنت تحملينه بيدك
كروية الحبة

أتعلم أيُّ صباحٍ
لهذا اليومِ
عندما هجرتك الحجرةُ

مع هذا، هو الضجيج
الذي تبقى لك، مرناً طيِّعاً

يذهب بحياته

التي ستأتيك

بعض الأيام

في السرخس^(١)

الذي قلنا عنه إنه ضاع

الورقة التي تشقق

وكنت تعيش

قلتُ لك إنني

(١) السرخس: اسم نبات

سأقع نحواً
في الساعة، في الضباب

وأنتِ ماثلة

الحجر المُشارُ إليها

الجارة الجامدة

هذه الحديقة في الرسم الأول

كنتِ قد طفحتِ بي

في الحجرِ الراقصِ

السطر، الآخر

الذي تَلَقَّطتِ به

عندما تكونين بعيدةً
سأعلم أنك ضائعةٌ

إذا لم يكن هناك شيءٌ
لا مكاناً، لا أرضاً
لفهمك مع الزمن

تحت أيِّ سقفٍ
ستعبرين. عنده الخطوة

ستأخذين فيما بعد
المفتاحُ المخبأً تحتَ حجرِ العتبةِ

ستذهبين إلى أعماقِ الغاباتِ
نحوِ الهمسِ
الكوّةِ، المدى

ستصبحِ النوافذُ
للأكثرِ بُعداً

يعودُ الصمتُ إلينا

دونِ انتظارٍ أكثرِ

أن نكون هنا ببساطةٍ

في يوم الجدران

المدى خلفنا

غابة البلّوط

خطوتك مع الزمن

جاء البردُ
في ذاكرة المروج
مرَّت الأحجارُ
الساعةُ، الصفحةُ
حيث تجلسين

قال لكِ النعاسُ
إنك كنتِ تعرفين أنه استسلمَ
لا أكثر، من هنا
حتى بعيداً

يدك على الانتظار

الساعة، المجيء

أثر الغيوم

مرج النظرة

هذا الوقت من الصيف

تقولين إنه ضدك

أرض الريح المسورة

مع هذا هل ستذهبين

حتى الاسم

لنعبّرهُ في الطريق
بمقدارٍ ما، مسكونةً بهِ

ومن ثم "فيرنيكور" ما زالت
الزربية، التنور
حظيرة الأغنام وتنور الخبز.

إلى ب. أ

١٩٨٩ - ١٩٩١

الصيف الماضي

إذا عُدَّتْ غداً، سهاؤه
سيكون لها لونُ الهواءِ
حتَّى لحظة الظلِّ
خفيفٌ في دائريته
أثر الصيف

طريق الشجرة
لقليلٍ من المساء

ولكن في هذه اللحظة
تخطُّ النظرة الأخيرة
على تصدّع الرياح

لحن قدومها

ذاك الصباحُ

تذكّري الغرفةَ

سواءً النوافذِ

صافٍ من النسيان

حين يبددُ الليلُ

الأمم، الذاكرةَ

تأتين هنا
في المَرَج الذي يتعرَّش
تمرين في أوَّل "أيار"
في صفاءٍ وقتِه
صوتُ النهرِ
دَرَبُهُ في خطواتِه
لا تتكلَّم

أَيُّ صَوْتٍ

يَعُودُ إِلَيْكَ

الآن

إِذَا سَمِعْتَهُ

سَيَبْقَى غَصْنُ الْمَنْغُولِيَّةِ^(١)

مَعَ الْيَوْمِ

(١) المنغولية: اسم نبات جميل الورق والزهر

تنزوين هذا الأحد
في قسات وجهه
التي تعرفينها في مرورك
هل ستريته غداً

هل ستصبحين المروج التي ستقوده
حين يذهب الربيع

هنا يتوقفُ الحقلُ

سوف لن تَرِي الساعةَ بعد الآن

الحائِطَ البيتِ

يوم نوافذه

مثل خطاه الممتدَّة

كما لم تعلق عليه

في نظراته

أنتِ ذا تنظرين أزهارَ الشجرِ

في إغفائه

الغصنُ صوتُهُ الصافعِ

البعيدة المتمهلة

في الليلِ الذي تعرفين

التقاطعات

إلى "جان رودو"

وقتُ الكتابِ

لطريقِ واحدةٍ

فصولُ العابرِ

ممرُّ الصفحةِ

التوقُّفُ، المسكونة

الانفلات. الذاكرة

في الأمكنةِ

التي نسلکہا، قال

الاتِّفاق، الغدُّ

(سيأتي أيضاً)

قالها بقلق

هذا الصباح من البعيد)

تشابه الوجوه

ستذهب أيها الظل الشاسع

من الأرض، من المغامرة

ليس هناك من أسلاكٍ ذهبيةٍ

تحيط صيفاً بالأرض

النقطة، الكلُّ

بأيِّ رقمٍ
نُصِّفُ العالمَ

منذُ الفجرِ، الكلماتِ تحتَ الاسمِ

من القوانينِ المختلفةِ
اشتقَّتْ كلمةُ الغرفةِ
خيوطُ الذهبِ لخطاكِ

من وقتٍ لآخرٍ
حيويَّةُ الإشاراتِ
يعودُ أيلولُ إليه

الليل في الصيف

لو عرف الليلُ الصيفَ

كساعةٍ قاسيةٍ

بين حيطانِ هذا الممرِّ

من أين أتى النفي

نسمعُ أشجارَهُ

في سرِّ الأيامِ

الإقامة المنصرمةُ

يحدثنا الصبرُ اليوم

ولكن من أيِّ لغزٍ نحن؟

قادرٌ فجأةً

في الطرقِ والأحلامِ

الأكثر مهابةً تحت وعودِ السماء

في ظلّ السرو

يكمن النهارُ لصوتك

من مسكرات "تمؤز"

تذوقِ طعمَ النهارِ

من يتعوّد على ينبوع

الأكثر حيويّةً في أغنية الفاكهة

أخيراً تناديها

في هذه الساعةِ الحتميّةِ

على كلّ حالٍ، قالت

وكان صوتُ الغاباتِ يرنُّ في اسمها

لم نعدْ نسمعُ هذا الصباحَ

هي الحياةُ الأخرى

مَنْ يمضي الصيفَ

على إضاءةٍ وجهه

الوقتُ يتمايلُ الآنَ

إلى جانبِ ذلكَ كنتَ تعرفُ أغنيةً

خلالَ اليومِ

كما ليلةٌ دونِ ظلالٍ

إذا جئتَ

مثلاً تذهب هذا الصيف الآخر

إذا كان للوقت حدودُهُ

فهو المدى في النهار

مثلما تأتي في الصيف

تكون الذاكرةُ خفيفةً في هذه اللحظة

مَنْ يعرفُ الساعةَ الموعودةَ؟

من أيِّ مساءٍ

عاد هذا العالم الآخر

الآية التي يؤمن بها

تمرُّ في صيف الغُرْفِ

لا شيء يهّمُ الآن
أنتِ تقرئين الكتابَ المفتوحَ
والحبُّ في صوته

لا يزالُ الغناءُ
يحيطُ الإضاءةَ

سوف لن تكوني أبعدَ
إذا عادَ إليك العالمُ
أنتِ ترقبين الصبرَ
في الليلِ. في الغناء

أين مكانها

المنزلُ الذي

تحدثنا عنه

في صفاءِ الأحَدِ

الماضي الساعاتُ الدوار

في هذه اللحظة مرَّ

الزمنُ مبهوراً

من نظرةٍ أولى

مَنْ يرتقي النوافذَ

في نهار الأشجار

أنت تعرفين صبرَ

الصيفِ في الغُرف

المساءَ القادِمَ

النضارةَ. العشبَ المشدَّبَ

الضوءُ الذي يشبهُ أغنيةً

يحكي ههنا

في هواءِ "أيار"

سماءِ الطفولة

هنا نأخذُ الوقتَ

الذي يعودُ إلينا

في الصباحِ يفتحُ البابُ قليلاً

يحتاز صوتها

مطر المروج

تُخبئين سرّاً

يوحي لك بالطريق

لا شيء يُنسى هنا

مع ربح أغصانها

يكمن اللأ متوقع، قالت هي

بعد الظهيرة تمزّق

كتابُ تشرين

هنا حيث يطلُّ هؤلاء،

وقت الآخر هذا

في حصى الطريق،

أثرها العائد

حتى الشجرة. الصيف

الينبوع هنا

الحيطان. شجرة العليق^(١). الأرزية^(٢)

الجامدة. العابرة

فجأة أفاق عالم ما

(١) جنس شحريثمر توتاً

(٢) شجرة الأرز

في عبور المرج

الأرضُ التي تتهَجَّرُ

نهارَ النوافذِ

فيما بعد، قالت

في أيِّ ربيعٍ تصعدُ

الآن هذا الحقل، العابر

اليوم الذي كان نفسهُ

دون أن تمسكي به

هو أيضاً كما جاء

في نهارِ نَظَرَتِها

الفصولُ التي يسميها

أنت ترى من خلالها
عينَ "أيار"

السعادةُ كانت خضراءُ

في هواء العشب تتسكعُ
رؤوسُ "الهندباء"

كان هذا إذ تتذكرُ

يضغطُ على العالم

في الضجيج الذي تناديه

تذكرُ في الغرفات

الطفولة، السماء

المساءات في الصباح

لا أحدٌ يأتي اليوم
والأسيَّبْتُ هذا الجناحُ
في مفاجأة النهار
المرج في عبورها

مثلما يتجمَّع الوقتُ
إذا عبرتُ طريق
اليوم وكلَّ يوم
تلك سعادةُ اللَّحظة

- ^^ -

لحن صوتك

ما الذي سيقوله لي الزمن

الذي أضعني؟

ما الذي يريد مني هذا اليوم

فلتعانقني ذراعاه

في هذه الساعة، في هذا الصراخ

الذي أكون به

ليس سوى ظل

على امتداد الصوت

ما الذي تريده مني

في الاسم الذي يصمت

ما الذي سيكون لي

الوجدُ الذي تخبئه

في أيِّ ليلٍ

تعيده لي

في أرضٍ

بلا درب

الذي يخاطبُ نفسه هذا اليوم

يعبر هواءَ الأوراق

ينفث في الربيع أنفاسَهُ

الخطوة الخفيفة

في سماء الأشجار

فجأةً هنا

فلينكشفِ الحاضر

حين يتشَّبهُ "الزعرورُ" بكلامه
ينظر فرحته التي ترسمُ نفسها
تسلقُ أزهارها

هكذا حدثتُ الريحُ الذاهبةُ
ذاك الجناحَ على الأغصان

في صوتها
تتممُ اللحظة،
التاريخَ صباحِ ما،

الذي يأتي في صدام الأضواء
يجتاز أثره نحو الجداول

تقولين لي: ولكن هذا كان

لَمَّا سِيَّأَتِي

تلك دروب الصيف

أصعد إلى ساعات الأنهار

كما مشينا متنزّهة

في عناق الصفصاف

الآن يدُ الظلُّ

الماء الجاري للنظرة

أيُّ ليلٍ سيقول لي

رائحةَ المطر،

الأفق الذي تنتظر،

الفرح الذي نضمُّه

دون أن نعرفه

لم كلُّ هذه الظلال

في خطوة الذاكرة؟

يقترّب الصمتُ

في مساء الأغصان

أية أرض. أيُّ درب

تبقى لك؟

إلى متى تنتظر

وتأمل الخطوة؟

تنغرس أسنانك في ليل الأحجار

كائنَ الصيف هذا

اسمَ الزرقة

حيث تشقق

شفاهك المرّة

ما الذي تقوله

في سجن الأرض

الذي يحيط بك

أيُّ نسيان

نحو أيِّ مجهول

يلهث طبشور ساعاتك

الليل، هذه الدرب

في وجه أيلول

كنتُ عابرةً

سماءٍ إضاءاتك

الاسم الذي تبحثين عنه

في الصوت الذي ينسى نفسهُ

في سويغاتِ الشجرةِ

أيةُ أرضٍ تحترق؟

أيةُ عودةٍ تمّحي؟

ما تقولينه في لحنك

مَنْ يرقصُ ليلاً؟

أعود في الصباحات

التي تناديك في البعد

خطواته الحجرية

حيث أذهب أنتظر

نحو آية درب بلا حدود

تكلّمت هذا اليوم؟

في فرجة الغابة. في المفارق

تسير خطوتك

أضمت في ماء الموجه

أحجار، أنهار

أين يتبعثر ماواك؟

في أيّ مسلك سألقاك
في أثر أية غابة
في زحام الظلّ
تذكّري الوريقاتِ، الريحَ
طعمَ الأرضِ، ذاك الذي يصّاعد

أي موعد يتبعثر
في السعادة إذ تتكلمين

هو صوتها الذي يصغي إليك في ممّر الصباح

أيّ وقت ينكمش؟

أي أمل يرتجف؟

في خطوة هذه السماء
يبتعد ظلُّه
ينطق بكلِّ أيامه

أنتِ تغنين ممرَّ الريح
اليدُ التي تضمُّك
في وعود الصيف

اللُّهاتُ الذي تتبعين
في مهبطِ أثره
مساءً الرمل هذا

يكلمُك هذه اللحظة
طعمُ الينبوع
ترقص الذاكرة

اللُّهَاتُ الَّذِي تَتَّبَعِينَ
يَذْهَبُ إِلَى مَهْبَطِ أَثَرِهِ
لِحْنِ صَوْتِكَ

نَحْوِ "لُوَيْزٍ" وَ"جَانٍ" خَطَاهُمُ النُّجُومُ

فِي سَمَاءِ "لُوَيْزٍ"

إِلَى "مِيرَايٍ" فِي صَبَاحَاتِ الزَّعْرُورِ

وَالآنَ نَحُوكُمْ، فِي صَدَاقَةِ الْوَقْتِ

فهرس

الصفحة

٧ المدى
٢٣ المنففة
٣٧ العبارات
٥١ فيرنكور
٧٩ الصيف الماضي
٨٥ لحن قءومها
٩٣ التقاطعات
١٠٥ الليل في الصيف
١١٣ مثلما تذهب هذا الصيف الأخير
١١٩ أين مكائها
١٢٧ في عبور المرج
١٣٥ لحن صوتك

جان دومينيك أمبير (١٩٥٨-.....)

- كاتب وشاعر وصحفي فرنسي؛
- معاون رئيس تحرير صحيفة كوبراسيون «coopération» الفرنسية؛
- من أعماله الشعرية:
 - المنفية، ١٩٨٧.
 - فيرنكورت، ١٩٩٢.
 - إن عُدت، ٢٠٠٨.

فأروق الءمفء

- ءآب وشاعر سورف؛
- ءاصل على إءآزة فف اللغة الفرنسفة وآآآفأ؛
- من أعماله المترءمة:
- ❖ الءفم بوذا، ءار الفرقء
- ❖ سقراط، ءار التءوفن
- ❖ شونبهور، ءار الفرقء

م٢٠٢٢